

أيام فى زاوية سيدى أحمد التجانى

رضى الله عنه

فاس - المغرب

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدى الشيخ / محمد الحافظ التجانى المصرى

رمضان ١٣٥٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وآله ومن والاه .
إلى سيدى أحمد أفندى عوض ، وسعيد أفندى ، وشفيق أفندى ، وفوده أفندى ،
وجميع الأحباب .

سادتى الأحباب حفظكم الله جميعاً ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،
أكتب إليكم ونحن فى جوار شيخنا رضى الله عنه ، وضيافته ظاهراً وباطناً ، وقد
أكرمنا الله فوق ما كنا نرجو ونحب ، ويسر الله الأمور تيسيراً عجيباً .
وقد اجتمعنا فى مراكش بسيدنا الشيخ النظيفى ، وهو رجل كأنه فى الدار الآخرة ،
لا يخرج من خلوته إلا فى أوقات الصلوات فيصلى بالناس ثم يدخل مباشرة ، إلا بعد
العصر فإنه يقرأ الوظيفة ثم يدخل خلوته ، ويقراً مع الأحباب الوظيفة بعد المغرب
- مباشرة - مرة أخرى .

ثم يخرج من خلوته فيجلس فى الزاوية ، وينكب عليه الأحباب بين طالب للدعاء ،
وبين طالب للتجديد ، ومستفهم عن مسائل ، حتى تجب العشاء فيصلى بالناس
ويدخل ، وكلما سلم أحد عليه أعطاه تمراً من كومة من التمر وضعها بجواره .
وزرنا الفقيه الكنسوسى فى قبره ، وقد رأى الشيخ رضى الله عنه ، ولكنه أخذ عن
أصحابه ، واجتمعنا بسيدى عمار بن سيدى محمود بن سيدنا رضى الله عنه .
وسافرنا إلى دمنات وهى بلد جبلية ، وفيها نهير ويكسوها الزرع ، فمنظرها بهى
جميل ، فزرنا الفقيه الحجوجى .

ثم عدنا لمراكش ومنها إلى سطات ، زرنا سيدى أحمد سكيرج ، وهو يدعو لكم بخير ،
وأقمنا عنده ثلاثة أيام بعد رجوعنا من مراكش ، كما أقمنا عنده أربعة أيام قبل السفر
إليها ، وهو بخير شفانا الله وإياه .

ثم سافرنا إلى الدار البيضاء ، وهى ميناء على شاطئ المحيط ، وهى منتهى أفريقيا
ومنتهى بلاد المغرب ، فمكثنا بها أسبوعاً .

ثم سافرنا إلى الرباط وتعتبر العاصمة - رباط الفتح - حيث سيدى العربى بن السائح
مؤلف بغية المستفيد ، وإذا قيل هنا : سيدنا ، السيد لا تطلق إلا على سيدى العربى ،
وإذا قيل : الفقيه ، لا تطلق إلا على الفقيه الكنسوسى ، وإذا قيل : المقدم ، لا تطلق إلا
على سيدى محمد بن قاسم بصرى المكناسى .

وقد أكرمنا الله - والله الحمد والمنة - وشرح ذلك يطول ، ومنه أن سيدى العربى
رضى الله عنه جاء فى الرؤيا لأكبر التجانيين بالرباط - وهو تلميذه ، وقد خدم الفقيه
الكنسوسى ستين فى داره وهو صغير ، وقد صحب سيدى العربى ١٦ سنة - وقد
جاوز المائة ، وكان عنده كأس سيدى العربى الذى يشرب فيه الشاى ، فأمره أن يعطيه
إلى ، ففعل ، فالحمد لله على ذلك ، وقد ذكرتكم فى المواطن التى أرجو أن تكون من
خير المواطن ، إن شاء الله تعالى .

ثم سافرنا إلى سيدى قاسم ، ثم مكناس ، ثم عدنا إلى فاس فى يوم الجمعة المبارك
فى أول رمضان ، فحضرنا الهليلة فى الزاوية المباركة ، حيث نزلنا فى حجرة فيها - هى
الحجرة التى كنا فيها من قبل - والزاوية ملاءى بأولياء الله السادة التجانيين ذوى القلوب
النقية ، الذين تنطق آثار التقى على ظواهرهم ، وتكسوهم الأنوار الحقية والنفوس
الطاهرة الراضية المرضية ، يجتمعون من النواحي البعيدة النائبة على الحب فى الله ،
وعلى ذكر الله تبارك وتعالى .

هؤلاء هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، هؤلاء هم القوم الذين قلوبهم معلقة
بالمساجد .

أى نور وأى تقوى وفضل وبهاء وروعة وسناء

وجلال وبهجة وكمال فيك يا دار الهدى والشفاء

الحال هنا فى الزاوية هى الحال السامية ، لا يشعر العبد إن كان فى الملك أو الملكوت ، قلوب نيرة ، وأرواح مقدسة طاهرة ، وصورة كاملة للإسلام فى الصدر الأول .

يصلى الأحاباب الصبح فى الزاوية ، فتمتلى على سعتها ، وبعد ختام الصلاة تقرأ الوظيفة ، ثم يقرأ مولانا الشيخ محمد بن عبد الله أحد مشهورى علماء فاس ، وهو علامة فى المعقول والمنقول - مع إتقانه للقراءات العشر وهى مما يدرسه - يقرأ الشفاء فى الزاوية ، فيحضر من شاء ، وينصرف من شاء لعمله ، فإذا انتهى من الدرس شرع جماعة فى قراءة جزء من القرآن جماعة بصوت واحد ، ومن الأحاباب من يقرأ ، ومنهم من يستمع ، فإذا ختموه انصرف من شاء لعمله ، وبقي من يجب أن يذكر الله فى الزاوية .

وقبل الظهر يبدأ العلامة الفقيه الحاج الحسن مزور فى قراءة درس فى الشمائل المحمدية ، وهو العلامة الفاضل ذو الفهم والحفظ وحسن الأداء والمحاضرة ، ثم نصلى صلاة الظهر ، ثم يقرأون جزءاً من القرآن جماعة بصوت واحد .

ثم يصلى العصر ، ويقرأون هذا الجزء مرة أخرى ، ثم يقرأون أورادهم ، ثم ينصرف من يريد الانصراف ، ويبقى من يبقى ، ويحضر من يحضر لصلاة المغرب ، فيفطرون على ما يتيسر ، ثم يصلون وينصرفون .

ويجتمعون فى صلاة العشاء ، فتزدحم الزاوية ، ويصلى الفقيه الشريف سيدى محمد بن العابد العراقى صلاة العشاء ، وصلاته متقنة تشبه صلاة الصحابة وصلاة الشيخ رضى الله عنه ، ومقدارها فى الصلاة الرباعية عشر دقائق ، ثم يبدأ فى صلاة التراويح ، فيصلى الإمام الراتب سيدى العابد عشر ركعات ، يقرأ فى كل ركعة نصف

ربع ، فيختم التراويح ويكون قد قرأ جزءاً ونصف ، ثم يعودون إلى دورهم ، ويبقى من أحب ممن يرغب في عبادة ربه ، ولا تقوم في الليل في أى وقت من الأوقات إلا أصبت من توجه إلى ربه خاشعاً مخبتاً ضارعاً .

وقبل الفجر يأتي ذلك العالم المدرس الشيخ محمد بن عبد الله ، وسنه يغلب على السبعين - وهو نحيف البدن ضعيفه إلا أنه قوى في الله - فيقف في المحراب يصلى ويقرأ ، ويعلوه الجلال والخشوع والإخبات لله تبارك وتعالى ، يمثل العبد الفانى في الله أصدق فناء ، وليتنى أستطيع أن أرى أحبابنا منظر ذلك الرجل المتحطم وهو يحمل نفسه على القيام في حضرة الله عز وجل ، والإخلاص يتدفق من قلبه الطاهر ، وكل عضو من أعضائه الضعيفة لسان ناطق بأبداع بيان ، يمثل للناس تجرد الروح عن المادة ، وكيف يسمو الحق بأهله وهم بين أهل هذه الأرض المتقاتلين على الزائل الناهب ، فيلحق أهل الحق المخلصين الصادقين بالملاء الأعلى ، حيث الأنس مبعث الراحة ، حيث الشهود ، حيث ثلج اليقين .

ثم يوترون وها قد طلع الصبح ، فيعودون إلى ما كانوا فيه من ذكر وقراءة قرآن ومذاكرة ، ولا تظن أنهم تركوا الدنيا ، فأهل فاس قائمون بالجد في الدين والدنيا معاً ، هذه حياتهم ، وهذا حالهم ، رضى الله عنهم .

وفي الليلة السابعة والعشرين يبدأ الفقيه العابد في القيام بأول القرآن ، ثم ينوب عنه غيره ، وغيره ، والشيخ محمد عبد الله ، وغيره طول الليل حتى يجتموا القرآن من أوله إلى آخره في تلك الليلة ، فيختم مولانا الشيخ محمد بن عبد الله الصلاة بحزب سبح اسم ربك الأعلى بقراءة سيدنا حمزة ، ثم يوترون .

أما مقدم الزاوية سيدى الطيب السفينانى - فقد أشرف على المائة - يأتي من داره قبل الفجر ، يتوكأ على أحد أصحابه ، يتقدمه النور كأنه كوكب درى ، فيصلى ما شاء الله ،

ثم ينتظر الصباح ، فيصلى مع الجماعة ، ثم يجلس مقابلاً للشيخ محمد بن عبد الله ، ثم يذكر ما شاء الله أن يذكر ، وقد فهمت منه أن من أوراده ألفاً من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - صلاة الفاتح - صباحاً ، وألفاً مساءً ، وذلك أن الشيخ رضى الله عنه قال لجدته : " التمس لى عشرة أنت منهم وسيدى أبو يعزى بن سيدى الحاج على حرازم ، وليقرأوا ألفاً من الفاتح صباحاً وألفاً مساءً ، ومائة من الفاتحة وتقرأ نهاراً فحسب ، وألفاً من يا لطيف " .

وحدثنى أن والده سيدى أحمد - وقد رأى الشيخ رضى الله عنه - ورثها عن أبيه ، وقد ورثها سيدى الطيب كذلك عن والده - رضى الله عنهم - وهذا هو الميراث الخالد لا الميراث الزائل .

وبعد صلاة الضحى يمضى إلى داره ، ثم يعود قبل الظهر ، فيستمع درس الفقيه سيدى الحاج الحسن مزور ، وينتظر الصلاة ، ثم يذكر ما شاء الله أن يذكر بعد الصلاة إلى العصر ، فيصلى ، ثم يختم ورده ، ويعود إلى داره ، ويرجع قبل العشاء إلى الزاوية . وقد حادثته يوماً حتى أذنت العشاء ، فقال لى : أخرتنى عن ورد كنت أذكره ، فقلت له : فلتذكره بعد ذلك ، فقال : إن أوقاتي مشغولة ولى أوراد أخرى مقسمة على الأوقات ، وإن الزمن أضيق من أن يتركه الإنسان خالياً ، ولذلك فرقت ما قسم الله لى من العبادة على الزمن ، فليس لدى وقت غير مشغول ، فأسفت لذلك ، فقال لى : نب عنى أنت فى ذكره ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ٨٠٠ ويا لطيف ألفاً ، ومرة أخرى تحادثت معه فى الضحى فقال لى : عليك أن تذكر ما عطلتنى عن ذكره ، وهو ساعة ونصف تقرأ فيها صلاة الفاتح ، ويصلى العشاء والقيام - ذلك القيام الطويل ، القيام الذى يصله سيدى الفقيه ابن العابد - ثم يمضى لداره بسلام حيث يشتغل فيها بربه تبارك وتعالى .

وولده سيدى الغالى وارث الأخلاق المحمدية ، الفضل والحلم والأدب والتؤدة
والسمت الحسن ، إذا مشى يتقدمه النور ، وإذا جلس يعلوه النور ، المحب الفانى فى
الحضرة الخاصة ، ولا يقرأ أوراده إلا مختلياً بعيداً عن الخلق ، وهو ذو تجارة من الذين
قال الله تعالى فيهم : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة)^(١) ، لا يؤذن
الوقت إلا وتراه قد حضر للصلاة فى الزاوية ، وهو القائم الآن بشئون الزاوية ، وهو
خليفة سيدنا سيدى الطيب خليفة الشيخ رضى الله عنه ، ويجلس بجوار سيدى الطيب
فى الوظيفة الشريف سيدى محمد بن سيدى الطاهر بن المتوكل ، وقد أدرك والده الشيخ
رضى الله عنه ، ولم يأخذ عنه ، ولكن أخذ عن أصحابه ، وكان إماماً للزاوية قبل الفقيه
العابد ، وقد بلغ مائة سنة وعشراً ، وكان الفقيه العابد يحمل على أكتافه من داره إلى
الزاوية ، ثم يساعده على القيام فى الصلاة ، فإذا شرع فى الصلاة صلى بغير حاجة إلى
من يعينه مادام فى الصلاة .

وهنا كل فرد محتاج فى الكتابة عنه إلى إفاضة ، فكلهم لله الحمد بدور ، وكلهم والله
الحمد مصب الفيض الربانى ومهبط الفضل الرحمانى ، هم من الذين قال الرسول صلى
الله عليه وسلم فيهم : ((الذين إذا رؤوا ذكر الله)) ، ولا أدرى كيف أستطيع أن
أفارق الزاوية ، فإن ما نحن فيه نعيم وأى نعيم ، والله الحمد .

إننا نقيم فى الزاوية نسلم على شيخنا رضى الله عنه ليلاً ونهاراً ، ونشهد أنواره ،
ونسأل الله لنا ولكم ، ونزور نيابة عنكم ، ونذكركم بالخير ، والأحباب يدعون لكم فى
الزاوية الرحبة ، فى الزاوية النورانية ، فى الزاوية المقدسة نقيم والحمد لله .

إذا أردت أن تذهب إلى دورة المياه تمر فى نهير صغير من الماء تخوض فيه ، ثم تذهب
إلى بيت الخلاء حافياً ، والأرض كلها مرصوفة بالفسيفساء اللماعة ، ويسمونه هنا

١ - سورة النور ، الآية ٣٧ .

الزليج ، وهو أعلى من البلاط ، وشكله كشكل الأطباق الصينى ، والمسجد كله رصفت أرضه به وجوانب الحائط ونصف السوارى الذى يلى الأرض على صورة مربعات ، وعليه صور ونقوش بديعة .

أما المياه فإن بعد الفناء المرصوف المتصل بالحائط حوضين مستطيلين فيهما ١٦ ماسورة كبيرة تصب كلها فى هذين الحوضين ، وعلى الأحواض جرادل من خشب يملؤها المتوضى من الحوضين ، ثم يجلس على كرسى يتوضأ منها ، والماء متدفق من تلك المواسير ليلاً ونهاراً ، فيصب فى هذين الحوضين ، وخلف الحائط - بعد أن تمر بالفناء الصغير الذى يجرى ماؤها باستمرار ليلاً ونهاراً - تجد حوضين آخرين فيهما عشر مواسير ، وكذلك فى بيوت الخلاء ، فى كل بيت منها ماسورة يتدفق منها الماء دائماً ، والزاوية تنار بالكهرباء طول الليل .

وكأن الحق تبارك وتعالى أراد أن يجعل هذه الزاوية المقدسة دائمة الفيض بالمياه الطاهرة ، دائمة النور بالأنوار الظاهرة ، إشارة يفهمها الحكيم إلى أن إفاضة الأنوار القدسية والماء الربانى لن يزال ينبع منها ، ويفيض ليلاً ونهاراً بغير انقطاع ، رضى الله عن سيدنا ، ما أوسع الفضل الذى منحه الله إياه .

هل تظنون أن تلك النفوس التى زكاها الحق واصطفها تسمع بذلك البعوض المنتفخ الذى يطن بافتراء على سبيل المتقين المقربين السابقين ، كزعمهم فيهم تفضيل غير القرآن عليه ، والكتمان ؟ وهم منه براء ، هم فى واد ، والناس فى واد ، شغلهم الله به ، ثم برسوله ، ودينه ، فذكروا الله ، وعبدوا الله ، واشتغلوا بمعاشهم لله ، وحسن رجاؤهم فى الله ، فهم أهل الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ذلك مجمل من حال الزاوية وأهل الزاوية .

وقد أمرنى سيدى الطيب رضى الله عنه أن أقرأ درساً فى الزاوية ، وقد قرأنا
الأربعين حديثاً النووية بعد قراءة الحزب بعد صلاة الظهر ، وسنختمها إن شاء الله تعالى
اليوم ، يوم الخميس ٢١ رمضان ١٣٥٦ هـ ، بعد صلاة الصبح وقراءة الوظيفة .
والحمد لله رب العالمين قد حضرنا زواج سيدنا سيدى عمار بن سيدى محمود بن
سيدى البشير حفيد شيخنا رضى الله عنه ، وهو آية فى النورانية يمشى ، فكل من رآه
رأى جمال النبوة يسطع فى وجهه ، والحمد لله رب العالمين .

محمد الحافظ التجانى